فصل

في بيان من هم المرجئة

المرجئة ثلاثة أصناف:

- صنف قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذاهب القدرية والمعتزلة.
- وصنف قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالجبر في الأعمال على مذهب الجهمية.
- وصنف ثالث خارجون عن الجبرية والقدرية.. وهم فرق: اليونسية، الغسانية، الثوبانية، التومنية والمريسية.

وإنما سموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الإيمان، فالإرجاء معناه التأخير، يقال: أرجيته، وأرجأته، إذا أخرته.

والمرجئة في باب الإيمان قسمان:

الأول: غلاة المرجئة (المرجئة المتكلمون).

والثاني: مرجئة الفقهاء(١).

* **أما المرجئة المتكلمون:** فقد قال جهم بن صفوان ومن تابعه: الإيمان؛ مجرد التصديق بالقلب وعلمه، ولم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان، وظنوا أن الإنسان قد يكون مؤمناً كامل الإيمان بقلبه، وهو مع هذا يسب الله ورسوله، ويعادي أولياء الله ويوالي أعداء الله ويهدم المساجد ويهين المصاحف والمؤمنين غاية الإهانة، ويكرم الكفار غاية الإكرام، قالوا: وهذه كلها معاص لا تنافي الإيمان الذي في قلبه بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن.

قالوا: وإنما ثبتت له في الدنيا أحكام الكفار، لأن هذه الأقوال إمارة على الكفر.

فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة والإجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر بنفس الأمر معذب في الآخرة. قالوا: فهذا دليل على انتفاء التصديق والعلم من قلبه، فالكفر

---

(١) وهناك قسم ثالث وهم الذين يقولون: إن الإيمان مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية.

عندهم شيء واحد، وهو الجهل، والإيمان شيء واحد وهو العلم، أو تكذيب القلب وتصديقه، فإنهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو هو. وهذا القول مع أنه أفسد قول قيل في الإيمان، فقد ذهب إليه كثير من أهل الكلام المرجئة، وقد كفّر السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد، وغيرهم من يقول بهذا القول، وقالوا: إبليس كافر بنص القرآن وإنما كفره باستكباره، وامتناعه عن السجود لآدم لا لكونه كذّب خبراً، وكذلك فرعون وقومه، قال الله تعالى: **(وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)** [النمل: ١٤]. وقال موسى عليه السلام لفرعون: **(لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر)** [الإسراء: ١٠٢]. فهذا موسى الصادق المصدوق يقول له ذلك، فدل على أن فرعون كان عالماً بأن الله أنزل الآيات وهو من أكبر خلق الله عناداً وبغياً لفساد إرادته وقصده، لا لعدم علمه، قال تعالى: **(إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين)** [القصص: ٤].

وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم: **(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)** [البقرة: ١٤٦].

وكذلك المشركون الذين قال الله فيهم: **(فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون)** [الأنعام: ٣٣].

* **وأما مرجئة الفقهاء:** وهم الذين قالوا الإيمان تصديق القلب وقول اللسان، والأعمال ليست منه، وكان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها، ولم يكن قولهم مثل قول جهم، فعرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمناً إن لم يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه، وعرفوا أن إبليس وفرعون وغيرهم كفار مع تصديق قلوبهم، ولكنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم، ولم يقولوا بزيادة الإيمان ونقصانه بسبب العمل، لكن قالوا زيادة الإيمان كانت قبل اكتمال التشريع بمعنى أنه كان كلما أنزل الله آية وجب التصديق بها، فانضم هذا التصديق إلى التصديق الذي كان قبله لكن بعد كمال ما أنزل الله ما بقي الإيمان يتفاضل عندهم، بل إيمان الناس

كلهم سواء، إيمان السابقين الأولين كأبي بكر وعمر وإيمان أفجر الناس كالحجاج وأبي مسلم الخراساني وغيرهما"(١).

* **والإرجاء** في عصرنا كثير سواء عند العوام أو عند المنتسبين إلى الدين..

- فمن إرجاء العوام قولهم المشهور: (الإيمان في القلب) وعدم اعتبارهم للأعمال بل إهمالها أو التهاون بها وتركها بحجة الاكتفاء بصلاح القلب وصفاء النية.

- أما إرجاء المنتسبين إلى الدين أو الدعوة الذين نناقشهم في هذا الكتاب فهو غالباً ليس في تعريف مسمى الإيمان.. فهم يعرفونه كمسمى تعريفاً سليماً فيقولون: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان.. أو يقولون هو قول وعمل وهو قول أهل السنة في الإيمان..

لكنهم عند تنزيل ذلك على الواقع وفي الناحية العملية خصوصاً مع نواقض الإيمان يظهر لك أن ركن العمل الذي أثبتوه في تعريف الإيمان مهمل عندهم بل يكاد يكون ساقطاً وملغياً..

نعم هم يقولون - أو أكثرهم - أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما قال أهل السنة.. لكن الذنوب جميعها عندهم ناقصة لكمال الإيمان فقط وليس فيها شيء ناقض لأصل الإيمان، اللهم إلا في حالة واحدة فقط أن يرتبط معها الجحد أو الاستحلال أو الاعتقاد، هكذا على إطلاقه مهما كان الذنب أو العمل، هذا مع أن النبي ε قد بيّن فقال: "الإيمان بضع وسبعون شعبة [وفي رواية الترمذي (باباً)] فأفضلها [وعند الترمذي (أرفعها)] قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" رواه مسلم وأصحاب السنن من حديث أبي هريرة.

---

(١) مستفاد ومختصر من كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية.

فليس جميع شعب الإيمان وأبوابه متساوية، فشعبة (لا إله إلا الله) ليست كشعبة (الحياء) أو (إماطة الأذى عن الطريق).

بل منها ما في زواله نقص للإيمان فقط كالحياء..

ومنها ما في زواله نقض للإيمان كشعبة (لا إله إلا الله)..

والخوارج ومن وافقهم وتابعهم من غلاة المكفرة جعلوا زوال أي شعبة من شعب الإيمان ناقض ومزيل لأصل الإيمان..

فجاء مرجئة العصر -- كرد فعل عليهم وعلى مذهبهم – فجعلوا زوال شعب الإيمان كلها ناقص للإيمان فقط، ولا شيء منها مزيل أو ناقض لأصله، اللهم إلا ما تعلق منها بجحدٍ أو اعتقاد.. وكلتا الطائفتين ضالتان.

أما أهل الحق وأصحاب الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، فهم وسط في أبواب الإيمان والكفر.. فشعب الإيمان عندهم منها ما يؤثر فقط في كمال الإيمان ولا يُزيله.. وهذا النوع ينقسم الى قسمين؛ الأول: ما كان من كمال الإيمان المستحب، والثاني: ما كان من كمال الايمان الواجب.

ومن شعب الإيمان ما يُزيل أصل الإيمان وينقضه.. فالإيمان على ذلك عندهم على ثلاثة أقسام:

* ما كان من كمال الإيمان المستحب وهو ما رغب فيه الشارع ولم يتوعد على التفريط فيه.

* وما كان من كمال الإيمان الواجب وهو ما توعد الشارع على التفريط فيه وعيداً لا يصل إلى وعيد الكفر.

* وما كان من أصل الإيمان وهو يتركب من كل شعبة يزول الإيمان وينتقض بزوالها.

ولا يتحكمون بشيء من ذلك فيجعلونه من هذا النوع أو ذاك إلا بدليل شرعي ونص من الله تعالى أو رسوله ε (**سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا**).. [البقرة: ٣٢].

وأقرب فرق الإرجاء الى مرجئة عصرنا هؤلاء في أبواب الإيمان والكفر هم المرجئة المريسية: مرجئة بغداد، وهم أتباع بشر بن غياث المريسي الذي كان يقول في الإيمان: "إنه تصديق بالقلب واللسان جميعاً، وأن الكفر هو الجحد والإنكار، لذا زعم أن السجود للصنم ليس بكفر ولكنه دلالة على الكفر"(١).

وذلك لأن مرجئة عصرنا لا يرون أن هناك كفراً عملياً مخرجاً من الملّة إلا أن يرتبط باعتقاد أو جحد أو استحلال فذلك هو الكفر عندهم..

سواء كان ذلك من باب سب الله تعالى أو السجود للصنم أو التشريع مع الله أو الاستهزاء بدين الله.. فكل ذلك ليس كفراً بحد ذاته بل هو دليل على أن فاعله يعتقد الكفر، فالكفر هو معتقده أو جحوده أو استحلاله.. ففتحوا بذلك باب شر عظيم على أهل الإسلام ولج منه كل ملحد وزنديق وطاعن في دين الله تعالى بأمان واطمئنان، ورقعوا للطواغيت المرتدين وجادلوا عنهم بشبه ما خطرت يوماً على بال أولئك الطواغيت، وما سمعوا بها أصلاً، وما كانوا ليجدوا جنداً مخلصين يذبون عنهم ويدافعون عن باطلهم مثل مرجئة العصر هؤلاء.. لذلك قال بعض السلف عن الإرجاء: "هو دين يعجب الملوك!!؟ وقال بعضهم عن فتنة المرجئة إنها: "أخوف على هذه الأمة من فتنة الخوارج".

وقالوا: "الخوارج أعذر عندنا من المرجئة" وهذا ليس قولاً على عواهنه، بل هو حق وصدق.. فالخوارج كان من دوافع غلوهم وانحرافهم ابتداء الغضب لمحارم الله وحدوده -زعموا- أما المرجئة فقد أدى مذهبهم(٢) إلى تعدي الحدود الشرعية

---

(١) انظر على سبيل المثال (الفَرْقُ بين الفرَقْ) لعبد القاهر البغدادي ص١٨٠. وانظر أيضاً الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٥/٧٥).

(٢) أقول: (أدى مذهبهم) لأن المرجئة في بادىء أمرهم كان فيهم فقهاء وعُباد وكانت مخالفتهم لأهل السنة فقط في تعريف الإيمان، فمع انهم كانوا لا يرون دخول الأعمال تحت مسمى الإيمان لشبه ألقاها الشيطان عليهم، إلا أنهم لم يتركوا الأعمال ولا هونوا الكفر أو جادلوا =

والتحلل من القيود والضوابط الدينية، وفتح أبواب الردة تسهيلاً على الكفار وتيسيراً للزنادقة.

ولقد شهد عصرنا هذا ردوداً كثيرة جداً على الخوارج المعاصرين وعلى أهل الغلو في التكفير حتى امتلأت الأسواق بالكتب والرسائل حول ذلك، وقوي في أكثرها التنجي، وضعف الإنصاف.

وفي المقابل فقلما نجد من كتب تفصيلاً طيباً عن الإرجاء، وخصوصاً إرجاء العصر وأهله وحذر من شبهاتهم كما يُحَذِّر من شبهات الخوارج.. (١).

فلعل كتابنا هذا يسد شيئاً من النقص في هذا الباب، أو يسن سنة حسنة فيشجع أهل العلم على الكتابة فيه بياناً للحق وكشفاً لزيوف الباطل وشبه المبتدعة التي شوهت الحق المبين.. والله أسأل أن يفتح به آذاناً صُماً وأعيناً عمياً وقلوباً غُلفاً ويجعله خالصاً لوجهه الكريم والحمد لله أولاً وآخراً..

عن المشركين.. لكن الإرجاء تطور بعد ذلك وانقسم أهله إلى فرق وطوائف وصل بهم الحال في آخر الأمر إلى ما نتألم فيه..

(١) كان هذا قبل اثنتي عشرة سنة. أما اليوم فقد أثلج صدورنا وقرت عيوننا بما سطره كثير من إخواننا الموحدين في هذا الباب.

[Page redacted because illegible]

ملخص مراحل حرب العصابات

المرحلة الأولى

مرحلة الإستنزاف (مرحلة الدفاع الإستراتيجي)

□ سماتها العسكرية

بالنسبة للعدو :

حملات شرسة متواصلة في محاولة إنهاء القوة العسكرية للمجاهدين . استخدام واسع للقوات البرية والطيران . ومحاولة الاستدراج المجاهدين في صدامات مكشوفة والدفاع عن مواقع ثابتة .

بالنسبة للمجاهدين :

ضربات صغيرة وسريعة وكثيرة . سياسة المعارك هي "اضرب واهرب" أو " القتل بالف جرح " أي إنهاك العدو بضربات صغيرة على مدى طويل حتى يسقط من الإعياء .

□ القواعد

قواعد المجاهدين متنقلة غير ثابتة خفيفة التجهيز .

□ سماتها السياسية

بالنسبة للعدو : هجوم دعائي ضد المجاهدين وتصويرهم كعملاء أو ماجورين . عروض سرية للتفاهم مع النظام مقابل أموال ومناصب وعفو .

بالنسبة للمجاهدين : استخدام الضربات العسكرية في تحطيم هيبة النظام وترويج الدعايات ضده وتشجيع الناس على المقاومة ومعاونة المجاهدين . وبطولات المجاهدين وجرأتهم تساعد كثيرا في اجتذاب الناس إلى صفوفهم . ومعاداة النظام الذي يلجأ إلى أساليب أمنية قاسية تضايق الناس وتضرهم . يوزع المجاهدون المنشورات في المدن والقرى ويلقون بالخطب في القرى النائية التي يمرون بها .

□ المفاوضات

تحظر المفاوضات تماما مع العدو وترفض - كما ترفض الهدنة العسكرية - وفي محاولات الوساطة الخارجية أو اللقاءات مع مندوبي النظام يطالب المجاهدون باقصى المطالب التي لا يمكن للنظام قبولها . وذلك حتى تكتسب الحركة مزيدا من الوقت لتقوية نفسها عسكريا وتنظيميا وسياسيا .

المرحلة الثانية

مرحلة التوازن الإستراتيجي

□ سماتها العسكرية

بالنسبة للعدو :

يقل عدد الحملات العسكرية ويتوقف العدو تقريبا عن اقتحام المناطق الوعرة والغابات مكتفيا بالغارات الجوية على تلك المناطق وعلى طرق إمداد المجاهدين

النسبة للمجاهدين :

ويقول منتقداً من يقفون عند النصوص التي تأمر بالقتال للدفاع فقط معتبرين أنها الأحكام النهائية : ((إن هذه النصوص التي يلتجئون إليها نصوص مرحلية تواجه واقعاً معيناً ،وهذا الواقع المعين قد يتكرر وقوعه في حياة الأمة المسلمة وفي هذه الحالة تطبق هذه النصوص المرحلية ،لأن واقعها يقرر أنها في مثل تلك المرحلة التي واجهتها تلك النصوص بتلك الأحكام ولكن هذا ليس معناه أن هذه هي غاية المنى وأن هذه نهاية خطوات هذا الدين ،إنما معناه أن على الأمة المسلمة أن تمضي قدماً في تحسين ظروفها وفي إزالة العوائق من طريقها حتى تتمكن في النهاية من تطبيق الأحكام النهائية الواردة في السورة الأخيرة والتي كانت تواجه واقعاً غير الواقع الذي واجهته النصوص المرحلية))[٢] .

ويقول : ((فإذا كان المسلمون اليوم لا يملكون بواقعهم تحقيق هذه الأحكام ،فهم -اللحظة ومؤقتاً- غير مكلفين بتحقيقها -ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها- ولهم في الأحكام المرحلية سعة يتدرجون معها حتى ينتهوا إلى تنفيذ هذه الأحكام الأخيرة عندما يكونون في الحال التي يستطيعون

(٢) المصدر السابق : (١٥٨١/٣) .

معها تنفيذها ،ولكن عليهم أن لا يلووا أعناق النصوص النهائية لتوافق أحكام النصوص المرحلية ،وعليهم أن لا يحملوا ضعفهم الحاضر على دين الله القوي المتين))[٣].

فنحن نلاحظ أن كل ما يقصده سيد قطب من قوله بعدم النسخ أنه لا يصح أن نلزم المستضعفين بما نلزم به الأقوياء القادرين ،وأن للمستضعف مندوحة في العمل بآيات الكف ،أو الاكتفاء بجهاد الدفع فقط بحسب حاله وقدرته ،ولكنه يعتبر ذلك أمراً مؤقتاً يجب السعي الحثيث في تغييره بغية الوصول إلى القوة التي يمكن معها تنفيذ المرحلة النهائية من مراحل الجهاد .

ولو اكتفى القائلون بعدم النسخ في عصرنا بمثل هذا القول لما احتجنا إلى تسويد مثل هذه الصفحات ،لأن الخلاف حينئذ سيكون مما يهون أمره ويقل خطره .

والعجيب أن بعض أصحاب الفهم الخاطيء في هذه القضية قد اعتمدوا على أقوال سيد رحمه الله في هذه المسألة لتبرير ما ذهبوا إليه فقد ذكر المستشار سالم البهنساوي عن

(٣) المصدر السابق : (١٥٨٢/٣) .